السياق السوسيو–تاريخي للفعل المقاولاتي المحدد لطبيعة العمل في المجتمع الجزائري في ظل ثنائيتي العقلاني/اللاعقلاني

The sociological context (historical - cultural) of the entrepreneurial act that determines the nature of work in Algerian society in light of the dualism (the rational / the irrational)

قمر ميهوبي*[1] مراد حنان[2]

جامعة محمد خيضر –بسكرة ، مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر، **kamar.mihoubi@univ-biskra.dz**

جامعة محمد خيضر –بسكرة، **hanene.merad@unv-biskra.dz**

تاريخ الاستقبال: 2023/09/13؛ **تاريخ القبول**: 2024/03/05؛ **تاريخ النشر**: 2024/05/20

ملخص: تهدف من خلال هذه الدراسة إلى التعرف على تطور العمل عبر الحضارات والمجتمعات، وكذا معرفة التراث السوسيولوجي للفعل المقاولاتي، وذلك بإلقاء الضوء على بعض المقاربات الابستيمولوجية النظرية التي تناولته بالدراسة، للوصول إلى تحديد طبيعة العمل في القطاع المقاولاتي بين ثنائيتي العقلاني واللاعقلاني في المجتمع الجزائري، وهذا انطلاقا من السيرورة السوسيو–تاريخية الذي يتميز بها هذا الأخير، وذلك باستخدام المنهج التحليلي لبعض الدراسات السابقة لعدة باحثين الذين جاءت أبحاثهم في هذا السياق، والتي توصلنا من خلالها أن طبيعة العمل في المجتمع الجزائري قد أخذت مورفولوجيا خاصة تتميز باللاعقلانية في التوظيف، السير وتوزيع الأرباح، وذلك نظرا للسياق السوسيو–ثقافي الذي تطبع فيه أفراد المجتمع الجزائري عن طريق ميكانيزمات التنشئة الاجتماعية وآلياتها المتعددة التي تبلور من خلالها الفعل المقاولاتي بهابيتوس أعطى له طابع خاص، مخالفا لما هو عليه الغرب أين يمتاز بالكثافة، المهارة والاعتماد على الأساليب الموضوعية لاضفاء الصبغة العقلانية على الفعل المقاولاتي والوصول إلى تحقيق الرهانات المسطرة والفعالية المرجوة.

الكلمات المفتاح : مقاولاتية، فعل، مقاول، عمل، تمثلات.

Abstract: Through this study, we aim to identify the development of work across civilizations and societies, as well as Knowledge of the sociological heritage of the entrepreneurial act, by shedding light on some of the theoretical epistemological approaches that have been dealt with in the study, in order to determine the nature of work in the entrepreneurial sector between the rational and the irrational in the Algerian society, and this is based on the sociological-historical process that characterizes the latter, And by using the analytical approach of some previous studies of several researchers whose research came in this context, through which we concluded that the nature of work in Algerian society has taken a special morphology characterized by irrationality in employment, traffic and distribution of profits, due to the socio-cultural context in which members of Algerian society are imprinted through The mechanisms of socialization and its multiple mechanisms through which the entrepreneurial act of Habitos crystallized gave it a special character, contrary to what it is in the West, where it is characterized by intensity, skill, and reliance on objective methods to impart rationality. On the entrepreneurial act and access to achieve the bets ruler and the desired effectiveness

Keywords: entrepreneurial, entrepreneurial, action, representations

I- تمهيد :

تعد المقاولاتية قوة مؤثرة في حياكة النسيج الاقتصادي والاجتماعي لمعظم دول العالم، فهي تعتبر أسلوبا ومنهجا مميزا لإعادة توزيع الدخل وتحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع من خلال إتاحة فرص عمل جديدة وامتصاص البطالة، تحقيق الطموح وإبراز القدرات الشخصية للمقاول، الرفع من المستوى المعيشي لأفراد البناء المجتمعي وبالتالي المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع.

فقد برزت في السنوات الأخيرة اهتمام كبير بالمقاولات في ظل انحصار نموذج المؤسسة الكبرى التي واجهت في العقود الأخيرة العديد من الأزمات والمشاكل تحد من أهميتها ودورها في تنمية الإقتصاد، لتظهر بعدها مؤسسات أقلها حجما تمتاز بمرونة كبيرة جعلتها قادرة على ولوج مختلف المجالات الإقتصادية ليتخطى دورها من مجرد بديل للقضاء على البطالة التي أفرزتها التطورات العلمية السريعة إلى دور محوري وهام لتجديد النسيج الاقتصادي وتشجيع المبادرة الفردية والابتكار وتعزيز التنافسية.

عرف الاقتصاد الجزائري عبر سيرورته التاريخية انطلاقا من فترة الاستقلال مجموعة من المراحل والاصلاحات التنموية جعلته ذو خصوصية سوسيو–ثقافية، أثرت على وضعيته فيما بعد كجسد من ناحية البناء، الظروف ... وهذا ما أسهم في تشكله في ظل التغيرات والتحولات التي عرفها، مما جعله متميز بسياقات خاصة ساهمت في بلورة الفعل المقاولاتي تعكس الخصوصية السوسيو–تاريخية، الثقافية، الاقتصادية ... لسياق المجتمع الجزائري، والتي أدت فيما بعد إلى تحديد طبيعة العمل في القطاع الخاص بين ثنائيتي العقلاني/اللاعقلاني، انطلاقا من مساره السوسيو–إقتصادي، عبر سيرورته التاريخية وخصوصيته الثقافية، التي بلورت لنا العمل في القطاع المقاولاتي بمورفولوجيا محددة يمكن تصنيفها إما في الاتجاه العقلاني أو اللاعقلاني للعمل، وهذا ما نهدف إليه من خلال هذه الدراسة للفصل في هذه القضية الجدلية، الإعتماد على الفعل المقاولاتي كرهان لتحديد الاتجاه باستخدام المنهج التحليلي مع بعض الدراسات السابقة، وذلك انطلاقا من الأشكال التالي:

كيف تحدد السياقات السوسيو–تاريخية–ثقافية للفعل المقاولاتي طبيعة العمل في القطاع الخاص بين ثنائيتي العقلاني/اللاعقلاني في المجتمع الجزائري؟

II – تحديد مفاهيم الدراسة:

1. الفعل الاجتماعي:

يشير الفعل الاجتماعي في مفهومه البسيط إلى كل ما يمارسه البشر، أي على مستوى ما يفعلونه أما على المستوى الأكثر تعقيدا فلا يشير إلى الأفراد فقط وإنما كذلك إلى ممارسات الفاعلين الجمعيين أي أولئك الذين يتشاركون سمات معينة، مثل الأفراد المنتمين إلى طبقة أو فئة عمرية أو جنس معين أو غيرها من التصنيفات المجتمعية (سكوت، 2009، ص 300).

يمكن تعريف الفعل الاجتماعي ذلك التفاعل بين شخصين والعلاقة الناتجة عن ذلك التفاعل، إذ يرى بياجيه أن الفعل الاجتماعي على المستوى الماكروسوسيولوجي يبدو بشكل بتأثير متبادل بين شخصين إلا أن هذا التفاعل لا يخضع للمصادفة، بل إن بنيتة تتكون وتنتظم فيما يسميه نسق من العلاقات المتبادلة وأن الفعل الاجتماعي على أي مستوى يستدعي آليات نفسية ومركبات اجتماعية (عماد، 2017، ص 109)

فالفعل الاجتماعي يحدث بالتفاعل الاجتماعي وهو عملية مقصودة لا يخضع للصدفة ويتم بين مجموعة من الأشخاص أو الفاعلين في شكل علاقات أو تبادلات، ولهذا بياجيه يفسره على المستوى الكلي لنسق العلاقات ويرى أن الفعل الاجتماعي يحصل بآليات نفسية ومركبات اجتماعية.

كما أن الفعل الاجتماعي عند فيبر هو "كل ما هو اجتماعي ثنائي أو علائقي كتصرف أدنى ويجب أن يتضمن الفعل الاجتماعي فاعلا اجتماعيا يفسر و يصرف و يوجه نحو نشاط فعل اجتماعي

آخر، أولئك الآخرون الذين يدخلون في العلاقات الاجتماعية حيث يمكن أن يكونوا معروفين لدى الفاعل مثلا، أو أن يكون جماعات غير محددة أو أن يكونوا مجهولين كأشخاص و بذلك يعتقد فيبر أن على علم الاجتماع أن يركز على الفعل الاجتماعي لا على البنية ... و لم يكن يعتقد فيبر كما اعتقد دوركهايم وماركس أن للبنى وجودا مستقلا عن الأفراد ، بل كان يرى أن للبنى في المجتمع إنما تتشكل بفعل تفاعل تبادلي معقد بين الأفعال و من هنا ، فإن من واجب عالم الاجتماع أن يتفهم المعاني الكامنة وراء هذه الأفعال. (غيدنز، 2005، ص 71)

أما بارسونز فيرى أن الفعل الاجتماعي ما هو إلا نسق معقد من السلوك يمكن تقسيمه إلى أجزاء مختلفة ليمكن تحليلها ودراستها في علاقتها المتبادلة ويحوي كل نسق من السلوك على التفاعل والرموز والقيم التي توجهه، ودراسة أي نسق من السلوك توضح لنا كيف يعمل أو يؤدي وظيفته (البصيري، 2001، ص 7)

فالفعل عند بارسونز هو ذلك السلوك الذي يقوم به الأفراد وله معنا وأهداف وهو ينشأ أثناء عمليات التفاعل الاجتماعي والروابط الاجتماعية التي تظهر في شكل علاقات متبادلة بين الأفراد والجماعات.

2. المقاول:

يعرفه ماكس فيبر "المقاول هو الشخص العقلاني الذي يقوم بالادخار من أجل تراكم رؤوس الأموال يستخدمها استخداما عقلانيا في عدة نشاطات تجارية، صناعية ...، كما يركز على خصائص المقاول كالمثابرة والمغامرة والقوة الكاريزمية، وكذلك العقلانية في تسيير مقاولته، كما يتحمل كل الظروف التي تلعب دورا مهما في كسب أرباح أو خسارة ... فماكس فيبر يعتبر المقاول الصورة الاجتماعية المركزية للمجتمع الرأسمالي" (رحماني و بوقرة، ص 97)

كما يعتبر شوميتر المقاول "العامل الاقتصادي الذي يجسد توليفات لعوامل الإنتاج التي تعتبر فرصا للاستثمار" (boutillier & uzunidis, 2013, p. 33)

إذن فالمقاول هو كل فرد فاعل يتميز بعدة خصائص أهمها: المثابرة، المغامرة، القوة، العقلانية في التسيير والادخار واستغلال الفرص لتحقيق الأرباح وتراكم رأس المال.

3. المقاولاتية:

يعرفها آلان فايول (Alan Fayolle) على انها حالة خاصة يتم من خلالها خلق ثروات اقتصادية واجتماعية، لها خصائص تتصف بعدم الأكادة، أي تواجد الخطر، والتي تدمج فيها أفراد ينبغي أن تكون لهم سلوكات ذات قاعدة تختص بتقبل التغيير وأخطار مشتركة" (كرفوح و عراب، 2007).

كما يعرفها Shane et Baron "المقاولاتية تعني النشاط حيث الفرص المتاحة لخلق شيء جديد (منتجات، خدمات جديدة، أسواق وأنظمة اتصالات جديدة) قد أكتشفت أو أنشئت من قبل أشخاص ذوي خصوصية والذين يستخدمون في مرحلة لاحقة كل الوسائل لاستغلالها وتطويرها من أجل خلق قيمة للمؤسسة والمجتمع" (مقري و خنوفة، 2016)

يتضح لنا بأن المقاولاتية هي كل عمل حر أو نشاط خاص، تتصف بالمخاطرة لذلك من الضروري على ممارسيها (المقاولين) أن يتحلى بالمرونة وتكون لهم القدرة على التكيف ومواكبة التغيرات والتطورات، واستغلال كل الفرص الممكنة والوسائل المتاحة لضمان نجاحها واستمرارها.

III- لمحة سوسيو-تاريخية لتطور مفهوم العمل :

بالرغم من أن العمل لم يشكل دائما العامل المحوري في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في كافة المجتمعات القديمة، إلا أنه لا يمكن التقليل من أهميته ودوره، "في المجتمعات القبلية والبدائية، نجد أن الدراسات الأنثربولوجية وصفت لنا مجتمعات تمارس الصيد، القطف والجني لأن طبيعة العمل هي التي كانت توفر كل شيء، وبعد ذلك مارست أيضا الغرس باستعمال أدوات بسيطة، معظمها يجدها الإنسان البدائي كذلك في الطبيعة كالعصا، الحجر، إلخ" (شاوش، 2019، ص 18) يتضح لنا أن مفهوم العمل في المجتمعات البدائية قد ارتبط بالطبيعة وما توفره من أدوات ووسائل تساعد الفاعلين في الحصول على قوت يومهم، فحاجات الأفراد في هذه المرحلة لم تتجاوز الحاجات البيولوجية الموجودة في قاعدة هرم الحاجات عند ماسلو.

أما فيما يتعلق بالمجتمعات القديمة، فأغلبها ميزها العمل الذهني والعمل اليدوي، فالتنظيم الاجتماعي الذي كان سائدا فيها أخذ من العمل ركيزة أساسية لتحديد بنياته الاجتماعية، فالعمل منبوذا ومرهقا يشير إلى تبعية العبد للسيد ويختص به فئات العبيد والحرفيين "التي لم تخرج فيها من مراتب العبودية حيث لم ينفصل العمل في تلك الفترة عن الاكراه، وتلك كانت ماهيته لدى الفراعنة والإغريق واللاتينية" (الفيلالي، 2006، ص 79) وعليه لم يرتق العبد إلى درجة الفرد الحر الذي كانت نشاطاته تشمل العمل الفكري، الحرب .

"أما فيما يخص مرحلة القرون الوسطى، فرغم أن ظهور الإقطاعية أدى إلى تراجع العبودية إلا أن هذا النظام الجديد حمل معه شكلا آخر للاستغلال، وهو ما يسمى بالرق الذي لا يختلف كثيرا عن العبودية" (شاوش، 2019، ص 19) حتى في هذه المرحلة بقي العمل مقتصرا على فئات معينة دون أخرى، ومكانته الاجتماعية مازالت متدنية، فهو بمثابة العقاب للفئات الاجتماعية الدنيا، أما رجال الدين وأصحاب رؤوس الأموال فهم يتفرغون لمهام خاصة بهم ومتناسبة مع مراكزهم ومكانتهم الاجتماعية، فالعمل في هذه الفترة لم يعرف أشكال التقسيم الحديث" إذ كانت الحياة القبلية العائلية والطقسية تخلط بين ممارسة العبادة والطقوس وبين النشاط الإجتماعي والوظائف الانتاجية" (فريدمان و نافيل، 1986، ص 44)

"ولقد بقي هذا التصور للعمل حتى بداية القرن السادس عشر لما ظهرت الحركات الاصلاحية الدينية البروتستانتية التي صاحبتها أخلاق جديدة حول العمل ساهمت كثيرا في ظهور الرأسمالية" (شاوش، 2019، ص 20) كما برز كذلك العمل الحرفي وأنماط جديدة للعمل بظهور التقنية والنشاطات الفكرية والمعاملات التجارية.

وتعتبر الثورة الصناعية منعطفا حاسما لظهور مفهوم العمل كما نعرفه اليوم، فمن خلال هذه المرحلة استطاع العمل أن يتخلص من أبعاده الدينية والأخلاقية ليصبح بذلك عبارة عن فعل عقلاني يحتل مكانة جوهرية في بناء المجتمع الرأسمالي أين نجد "التصنيع يمثل شكل الإنتاج الأساسي.(raymond, 1962, p. 4)

فأصبح بذلك العمل من الأدوات والأشكال الأساسية للاندماج الاجتماعي في المجتمعات الرأسمالية، كما أدى ظهور النظام الرأسمالي إلى تغيير في شكل وطبيعة العمل في المجتمعات الصناعية الحديثة حيث قام بسن نظام الأجرة الذي ترتب عليه علاقة تبعية واستغلال بين صاحب وسائل الانتاج والطبقة التي لا تملك إلا قوة عملها (شاوش، 2019، ص 20) خاصة عند دخول عند الانتقال من المانفاكتورة إلى المصانع نتيجة الاختراعات الجديدة في الآلات، التطور التكنولوجي والتقني، تقسيم العمل والعمل بالسلسلة مع ظهور التايلورية التي اعتبرت الإنسان كالآلة، بل وأن هذه الأخيرة أفضل منه.

ومن هنا نجد أن مفهوم العمل في مختلف مراحل تطوره قد ارتبط بالسيطرة والهيمنة بين يملك وسائل وقوى الانتاج والمالك لقوة عمله، وتعتبر هذه السمة المميزة لمسار العمل حتى في العصر الحديث والمعاصر.

ونتيجة للظواهر السلبية التي خلفتها الثورة الصناعية على الأنساق الإجتماعية والاقتصادية، وظهور العديد من المشكلات داخل بيئة العمل التي دفعت بالفلاسفة والعلماء للاهتمام بدراستها وتحليلها لايجاد حل لها، الذين نجد من بينهم كارل الماركس الذي ساهم في تحسين الوضعية المزرية التي وصلت إليها الطبقة الكادحة، الذي ركز في تحليلاته على"وعي الفقراء بمصالحهم وبالتغيرات الاجتماعية التي تحدثها الجماعات المسيطرة والتي تؤدي إلى تفكك العلاقات القائمة بين الطبقات الخاضعة وارتفاع حالات الاغتراب بين الخاضعين وزيادة مشاركتهم في التعبير عن معاناتهم وعن قدرتهم على تكوين ايديولوجيتهم وأن يكون لهم زعماء يعبرون عن أفكارهم" (قاسيمي، 2017، ص 20)

ومن هنا نجد أن مفهوم العمل في مختلف مراحل تطوره قد ارتبط بالسيطرة والهيمنة، بين من يملك وسائل وقوى الانتاج والمالك لقوة عمله، وتعتبر هذه السمة المميزة لمسار العمل حتى في العصر الحديث والمعاصر.

IV- الفعل المقاولاتي في التراث السوسيولوجي:

1.3. الفعل المقاولاتي العقلاني عند ماكس فيبر:

"يعتبر الفعل الاجتماعي الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع بالنسبة "لفيبر"، وبذلك يكون قد نحى بهذا العلم إلى اتجاه ثالث مغاير تماما عن الطرح الوظيفي أو الماركسي، حيث نقل علم الاجتماع من عالم الظواهر الموضوعية إلى الأفعال الإنسانية بمعنى من الموضوع إلى الذات، لهذا جاءت تحليلات فيبر في مجال السوسيولوجيا مرتكزة على ما أطلق عليه الفعل الاجتماعي، وذلك سعيا منه لايجاد مقاربة يستطيع من خلالها فهم وتفسير وتأويل سلوك الأفراد في إطار التفاعل الاجتماعي، وفي هذا الصدد يفترض فيبر أن الأفراد لهم معاني ذاتية تتبع منها أفعالهم الذاتية (لعريط، 2022، ص 897).

كما أن الفعل الاجتماعي عند فيبر هو " كل ما هو اجتماعي ثنائي أو علائقي كتصرف أدنى ويجب أن يتضمن الفعل الاجتماعي فاعلا اجتماعيا يفسر و يصرف و يوجه نحو نشاط فعل اجتماعي آخر، أولئك الآخرون الذين يدخلون في العلاقات

الاجتماعية حيث يمكن أن يكونوا معروفين لدى الفاعل مثلا، أو أن يكون جماعات غير محددة أو أن يكونوا مجهولين كأشخاص " (العابد، 2011-2012، ص 258)، "وبذلك يعتقد فيبر أن على علم الاجتماع أن يركز على الفعل الاجتماعي لا على البنية ... ولم يكن يعتقد فيبر كما اعتقد دوركهايم وماركس أن للبنى وجودا مستقلا عن الأفراد ، بل كان يرى أن للبنى في المجتمع إنما تتشكل بفعل تفاعل تبادلي معقد بين الأفعال و من هنا ، فإن من واجب عالم الاجتماع أن يتفهم المعاني الكامنة وراء هذه الأفعال (غيدنز، 2005، ص 71) " ، والتي حددها كالتالي:

أ – الفعل العقلاني المرتبط بالغاية، وهو الفعل الذي يتوجه فيه الفاعل نحو تحقيق أهدافه ومصالحه وذلك باختيار الأداة الأنسب لتحقيق ذلك.

ب – الفعل العقلاني المرتبط بالقيمة: أي عقلانية الوسائل أما الغايات فهي مرتبطة بقيمة اجتماعية وأعرافها.

ج – الفعل الاجتماعي التقليدي، وهو الفعل الذي يعود به الفاعل إلى عادات، تقاليد الجماعة وأعرافها.

د – الفعل الاجتماعي العاطفي: وهو الفعل الذي توجهه مشاعر وعواطف الفاعل

فماكس فيبر في كتابه "الديانة البروتستانتية والروح الرأسمالية" قدم تحليلا للتجربة الدينية كقيمة يحملها الفرد البروتيستانتي ودورها في نشوء الرأسمالية كظاهرة فريدة للتاريخ الغربي، فوضح بذلك الترابط بين الانتماء الديني ونوعية المقاولين في أروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ففيبر بذلك يشرح لنا كيف تظهر الروح الرأسمالية في الفعل الإنساني/ الاجتماعي وحركيته سواءا تعلق الأمر بعوامل الإنتاج، البضائع أو بحركية الفاعلين- المقاولين (ريمون و فالفيردو، 1986، ص ص 317-318)

كما أوضح"دور الإصلاح البروتيستانتي في تعميق فلسفة الروح الفردية في المذهب الرأسمالي، وفيه بين أن الرأسمالية تبنت الاعتقاد بأن العمل الجدي المؤدي كواجب يحمل في طياته أحسن الجزاء، ومن جهة أخرى لاحظ أن الإصلاح البروتستانتي يؤكد على أخلاقيات تمجيد العمل، وتعتبر تضييع الوقت إنما يعاقب الإنسان عليه وهكذا فإن الأخلاقيات البروتستانتية ركزت على أهمية الفرد لأنه يشكل مركز المجتمع ومؤكدة بأنه قادر على التحكم في مصيره والتصرف في شؤونه، كما مجدت الحرية الشخصية والمبادرة الفردية والطموح والثقة بالنفس" (عليوة، 2019، ص 56).

يتضح لنا من خلال طرح فيبر أهميته الأخلاق البروتيستانتية لممارسة الفعل المقاولاتي، فهي تعتبر بمثابة المرجعية لفهم الأفعال الاقتصادية للأفراد، كما أكد على أن بروز طبقة المقاولين يعود إلى هذا المذهب، لأن فهم وتفسير الفعل المقاولاتي في نظر في فيبر لا يقتصر على المنطق الاقتصادي فقط، وإنما يعود إلى الميكانيزمات الشخصية والمنظومة الثقافية للفاعل أيضا، فهو بذلك يربط بين الفعل المقاولاتي كفعل عقلاني قائم على المبادرة والاستقلالية ... والفكر المقاولاتي المبني على الروح الرأسمالية، أما صور المقاولة عند فيبر فهي تتضح من خلال دراسته لمورفولوجيا المؤسسات الدينية، الاقتصادية والاجتماعية (رحماني و جاب الله، سوسيولوجيا المقاولة في الجزائر من المداخل الكبرى إلى الدراسات المعاصرة، 2014، ص 112).

2.3. ميشال كروزييه والفعل المقاولاتي العقلاني المحدود:

"ينطلق التحليل الاستراتيجي من مسلمة أساسية مفادها أن النسق هو بناء اجتماعي وليس معطى طبيعي، وهذا الأمر يدفع تحليل التنظيمات/ المقاولات الكشف عما يجري داخلها من اختلافات ونزاعات، والكف عن الاعتقادات بأنها مجرد علبة سوداء يكفي أن ندرسها من حيث مخرجاتها ومدخلاتها إذا أردنا أن نكون عنها فكرة صحيحة لأن النسق فيما يطرحه التحليل الاستراتيجي لا يعني بأي حال نسق مجرد ومجموع معايير قبلية للفعل، وإنما يعني نسق فعل ملموس، خال من أي اعتبارات كليانية، ولا يعتبر بمثلابة شرط أولي للفهم فحسب، وإنما نتيجة لهذا الفعل نفسه" (فزة، 2009، ص ص 151–152)

كما يرى بأن الفرد داخل التنظيم/ المقاولة باعتباره فاعل يتصرف باستقلالية للوصول إلى أهدافه الذاتية، من أجل ذلك يقوم ببناء استراتيجية خاصة به تعتمد على ما يملكه من موارد ليدخل في لعبة المفاوضة انطلاقا من الرهانات والقضايا المراد بلوغها، وما تتيحه له منطقة الظل/ الارتياب نظرا للإكراهات التي يفرضها النسق (معمري، 2009، ص 119).

"وبذلك يهتم التحليل الباستراتيجي بفهم كيفية بناء الأفعال الجماعية انطلاقا من السلوكات الفردية والتنسيق في العمل الذي يفترض جملة من الأفعال الفردية، ويكون التحليل استراتيجيا عندما يعاين سلوك الفاعلين المتعلق بالأهداف الواضحة والواعية التي يضعونها وضغوط المحيط والموارد المتاحة لهم، ويبتعد التحليل الاستراتيجي عن موازنة النقائص الموجودة في التسيير والإدارة ليركز على توضيح الاختيارات الأساسية للإدارة العامة وتفادي الأخطاء التي قد تهدد حياة المؤسسة المقاولة" (خريبش، 2011، ص 119)، بمعنى آخر إن التحليل الاستراتيجي هو تحليل مناورات الفاعلين في نسق يمارس ضغوطه البيروقراطية، هذا الأخير الذي لا يمكن النظر إليه كبنية شكلية هيكلية قائمة على تحديد الوظائف والأدوار، وإنما كنسق ضمني كامن يحوي على استراتيجيات وأهداف الفاعلين الذين يتمتعون بوعي وعقلانية نسبية تمكنهم من استغلال الموارد المتاحة بإعادة إنتاج الوضع القائم لصالحهم، هنا يكمن جوهر التحليل.

"فالاستراتيجية التي ينتهجها افرد في الوسط المقاولاتي هي دائما استراتيجية يمكن وصفها بالعقلانية، لكن هذه العقلانية ليست مطلقة بل هي عقلانية محدودة ومحتملة ''contingents''، والعامل الذي يفسر هذا الأمر هو أن الفاعل– المقاول في المؤسسة المقاولاتية هو عبارة عن فرد له شخصية معينة، يوجد دائما في ظروف معينة تكوقه باكراهاتها المتعددة، وبالتالي فهو غير قادر على بلوغ أحسن حل ممكن، ولهذا فهو يكتفي بالحل الذي يرضيه أكثر، والذي يسمح له باستعمال الوسائل والموارد المتاحة له، تبعا للوضعية التي يوجد فيها" (معمري، 2009، ص ص 119–120)

وعليه يمكن القول أن الفعل المقاولاتي عند ميشال كروزيه هو فعل عقلاني محدود، كون الفاعل ليس بامكانه معرفة كل البدائل الممكنة ونتائجها المتوقعة، كما أن البيئة الداخلية والخارجية للمقاولة تحوي على غكراهات هي بدورها تعيقه على معرفة أو اختيار البديل الأمثل والأفضل، لذلك يكتفي بالبديل الذي يرضيه أكثر ويسمح له كفاعل باستخدام الموارد والوسائل المتاحة له وفقا للموقف المتواجد فيه، وهو عكس ما جاءت به النظريات الكلاسيكية التي اعتمدت على العقلانية المطلقة للفعل، حيث اعتمد كروزيه على عدة مفاهيم نسقية في تحليله للفعل المقاولاتي نذكر منها: المخاطرة، الكلفة، العقلانية المحدودة، ... ما يؤدي إلى ارتفاع سقف اللا يقين، ما يجعل من الفاعل– المقاول يقوم ببناء استراتيجيات ملائمة مع حساب تكلفة مشروعه ليتسنى له في الأخير أخذ قرارات متناسقة ومنسجمة نسبيا مع أهداف المقاولة.

V– السياق السوسيو–ثقافي لظهور الفعل المقاولاتي في الجزائر:

يعتبر النشاط الاقتصادي الحرفي والزراعي العائلي هو النشاط المميز للمجتمع الجزائري أثناء فترة الاستعمار، رغم كل الجهود التي بذلها هذا الأخير لإحداث تغييرات وتحولات داخل البناء المجتمعي الجزائري سعيا منه للانتقال من النظام التقليدي السائد إلى نظام حديث والمتمثل في النظام الرأسمالي، وهو ما أكدته دراسة بيار بورديو حول الفعل المقاولاتي في الجزائر بأنه تميز بالنمط العائلي نظرا لطبيعة الأنشطة الوراثية التي تقوم بها، فالعائلة نسق اجتماعي مهم والمقاولة ظهرت كمؤسسة حرفية، كما بين أن التنظيم الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع ليس نتيجة للتطور الذاتي للفاعل، بل هو تغيير مفروض من المستعمر لخدمة مصالحه (رحماني، المقاولة في القطاع الخاص وعلاقتها بتنمية مجتمع العمل، 2016-2017، ص 65)

لذلك عرف الاقتصاد الجزائري خصوصية تاريخية ميزها الموروث الاستعماري الذي أورثه بنية تنظيمية هشة، لذلك حاولت الجزائر أن تبني نمطا أبويا في الإدارة والتسيير، فباشرت الدولة بتطبيق مخططات وسياسات تنموية للنهوض بالاقتصاد الوطني والقيام بعملية تحديث المجتمع (قاسيمي، 2017، ص 207).

بالإضافة إلى دراسة الباحث أحمد بويعقوب للمقاولين الجدد، والتي تمثلت نتئجها في كون أغلبيتهم من عائلات تمارس العمل الحرفي أو التجاري، إلا أن هذا الأخير هو الغالب على نشاطهم الاقتصادي، كما أن مشاريعهم تعتمد على الرأسمال الاجتماعي، سواءا كانت مؤسسات صغيرة متوسطة أو ذات طابع مقاولاتي خاص(bouyakoub, 1997, p. 106) .

شهد المجتمع الجزائري تحولات وتغيرات كثيرة بعد فترة الاستقلال، بالرغم من الفراغ التنظيمي والقانوني الذي شهدته المؤسسات الاقتصادية بسبب خروج المستعمر الكولونيالي، هذا ما جعل النظام الجزائري يدخل مرحلة سميت بمرحلة التسيير الذاتي (واضح، 2003، ص 29) فنجد في هذا الصدد دراسة الباحث بيناف حول المقاولين الجزائريين في القطاع الصناعي، والتي هدف من خلالها إلى معرفة الأصول الثقافية والخلفية الاجتماعية المشكلة لطبقة المقاولين الجزائريين من خلال التطرق إلى المسار السوسيو-مهني للفاعل (صاحب المؤسسة) في سياقات مرحلية –متتالية- ومتعددة، أين توصل إلى أن المقاول الجزائري لا ينتج فعل مقاولاتي آخر (جديد، مبتكر ...)، وإنما يعيد إنتاج الفعل المقاولاتي الممارس من طرف عائلته لأنهم أبناء باعة، تجار أو حرفيين، بالرغم من القدرة المعرفية والمستوى التعليمي الذي تملكه هذه الفئة السوسيو-مهنية (رحماني و جاب الله، 2014، ص ص 121-122)، وأهم ميزة لهذه المرحلة هي استقطاب العمال والإطارات كيد عاملة لتسيير المؤسسات ومراقبتها حيث "عرف المجتمع انطلاقة جديدة تمثلت في عملية التأميم الكبرى التي سبقت حركة تصنيعية واسعة صاحبتها مشاريع الإصلاح الزراعي وتوسيع المنظومتين التعليمية والصحية، وقد كان لسيرورة التغير الاجتماعي هذه وبخاصة التصنيع آثار عميقة على البنية الاجتماعية" (غريد، 1997، ص 6) وبالرغم من كل الجهود المبذولة في هذه المرحلة إلا أنها باءت بالفشل، وتلتها مباشرة مرحلة السبعينات التي امتازت بالمنهج الاشتراكي والاعتماد الكلي على المؤسسات العمومية، وهذا راجع إلى تدخل الدولة من خلال مشروع التأميم.

وعليه فقد ظل المقاول الجزائري مهمش بتهميش القطاع الخاص إلى غاية بداية الثمانينات، عندما عمدت الدولة الجزائرية إلى تقديم الدعم للإقتصاد الحر، بعد مرحلة إعادة الهيكلة المالية والعضوية ودخول مرحلة إقتصاد السوق والانفتاح على الأسواق، فبدأ الاهتمام بالقطاع الخاص تدريجيا (واضح، 2003، ص 34)، فنجد في هذا الصدد دراسة الباحث بيناف حول المقاولين الجزائريين في القطاع الصناعي ، وهنا نجد دراسة جيلالي اليابس حول البرجوازي الصناعية التي تعتمد على الدولة في تمويل نشاطها وكقاعدة لاستمرارها، أما من ناحية تسيير مواردها فقد استعانت بالأسلوب الحديث فيما يتعلق بالتكنولوجيا والتقنيات المستعملة في المصنع،والتقليدي فيما يخص علاقات السيطرة والسلطة التقليدية، والتوظيف الانتقائي المعتمد على الجهوية والقبلية، وكذا اعتمادها على الدين لاندماج العمال في بيئة

العمل هذا من جهة، ومن جهة أخرى بناء شبكة علاقات قائمة على أساس المصالح المتبادلة (بدراوي، 2015/2014، ص ص 45-46).

كما نجد من الدراسات الحديثة حول الفعل المقاولاتي في الجزائر، دراسة الباحثة آن جيلي التي تعرضت فيها إلى تصنيف المقاولين بين المنطق العائلي والمنطق الإقتصادي، التي توصلت إلى في الأخير إلى نتائج مشابهة للدراسة السابقة، أين أكدت على أن نشاط المقاول يمارس في شبكة علاقات إجتماعية وتضامن عائلي، وأن عدم التجانس في الفعل المقاولاتي راجع إلى مجموعة القيم والعادات ... بوجود منطق تبادل الخدمات بين العمال والمقاول، أما فيما يتعلق بتسيير المقاولة فنجد أن مهام المقاول تتمثل في تنظيم العمل وتسيير الموارد البشرية، أين اعتبرت المقاولة كنسق سوسيو-ثقافي متأثر بالعائلة والرأسمال السوسيو-مهني والقيم (لونيسي، 2020/2019، ص 146). وهي تتفق مع ما جاءت به دراسة عبد اللطيف بن أشنهو بأن المقاولين الجزائريين من أجل "الاستيراد، البيع، وتطوير مقاولاتهم يهتمون برأسمال علائقي أكثر من رأس المال التكنولوجي أو التسيير"(benchanhou, 2007, p. 19)

1. طبيعة العمل في ظل محددات الفعل المقاولاتي بين ثنائية (العقلاني/اللاعقلاني):

من خلال العنصر السابق الذي تتبعنا من خلاله أهم المحطات التاريخية لظهور المقاولاتية في الجزائر يتضح لنا بأن الفعل المقاولاتي له طابع خاص، نظرا للخصوصية السوسيو-ثقافية التي تميز بنية المجتمع الجزائري، التي بلورت لنا طبيعة عمل مقاولاتي بمورفولوجيا محددة، رأسمالها المالي، المعرفي والعلائقي يتمثل في العائلة، نظرا لطبيعة النشاطات الوراثية الممارسة الحرفية منها والزراعية، باستعمال تقنيات بسيطة يتم التدرب عليها، "فقيمة الفرد تتحدد بنوعية علاقته بالمكانة التي يحتلها داخل شبكة العلاقات وتعطى الأولوية في الاشتغال الاجتماعي للإسم في مقابل الكفاءة، بمعنى أن المكانة – الإسم- هي التي تمنح الكفاءة" (بشير، 2018، ص 91)، وهذا خلافا إلى ما دعت إليه المقاولة العقلانية في الغرب، فهي قائمة على أساليب موضوعية لا شخصية في العلاقات والابتعاد عن الاعتبارات العاطفية، تستخدم أسلوب الترشيد لإضفاء الصبغة العقلانية على الفعل باحثة عن أفضل الطرق للأداء هذا من جهة، ولتحديد شكل النشاط الإقتصادي الرأسمالي من جهة أخرى (كعباش، 2006، ص ص 44-46).

بالرغم من كل الجهود المبذولة من طرف الهيئات المتخصصة والمسؤولة في الدولة الجزائرية للنهوض بالنشاط والعمل المقاولاتي وتنمية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، إلا أن هذه السياسة حسب العديد من الدراسات التقييمية لم تصل إلى النتائج المتوقعة، وهذا راجع حسب تقديرهم إلى عدم الأخذ بعين الاعتبار البعد السوسيو-ثقافي كبعد جوهري في نجاح الممارسة الواقعية الفعلية للفعل المقاولاتي، وهي النتائج التي توصل إليها الباحث محمد قوجيل في دراسته المعنونة بـ: دراسة وتحليل سياسات دعم المقاولاتية في الجزائر، التي أكد من خلالها أن من أهم الأسباب التي أدت إلى هذه الوضعية اللاعقلانية في ممارسة الفعل المقاولاتي هي الثقافة المقاولاتية التي تكافح لايجاد تموقع لها في البناء المجتمعي، وهذا راجع حسب تفسيره إلى بيئة الأعمال المعقدة، التي يطغى عليها الفساد والبقرطة بمفهومها العامي، لطول مدة الإجراءات وغياب المنافسة الشريفة، كما يعود ذلك إلى عدم فعالية النظامين التعليمي والتكويني، وافتقاد أصحاب المشاريع للكفاءة والمهارات الأساسية في المجال المقاولاتي كالتخطيط الاستراتيجي، المحاسبة، ... الأمر الذي يحد من نجاح المقاولات واستمراريتها (بوعزة، 2017، ص 167).

كما توحي أيضا نتائج الدراسات السابقة بأن الفعل المقاولاتي في الجزائر هو عبارة عن عمل وراثي مكتسب، تغيب فيه فكرة الإبداع والابتكار ، بالاضافة إلى انتشار التقليدي في الأفكار وطريقة التسيير، هذا إن دل على شيء فهو يدل على "أن رأس المال المنتج هو رأس مال شبكة العلاقات، وحتى يتحقق الاستثمار داخل هذه الشبكة يبحث رئيس المؤسسة على وضع أعضاء الجماعة في الأماكن

المهمة والاستراتيجية التي تخول لهم اتخاذ القرار حسب مصالح الجمعية، إنه رأس مال شبكة علاقات إجتماعية وليس برأس مال مادة" (بشير، 2018، ص 90)، هنا يؤكد أحمد هني أن الهدف من إنشاء وتأسيس مقاولة في المجتمع الجزائري هو تكوين رأسمال علائقي، وليس رأسمال مادي كما جاءت به المقاولة في الغرب، أين نجد المقاول نفسه مطال بازدواجية الدور (الاجتماعي/الاقتصادي)، وهي الحالة ذاتها التي عاشها الإطار الجزائري في المؤسسات الاقتصادية العمومية، كما أكد ذلك علي الكنز في دراساته.

بالإضافة إلى غياب الكفاءة وهو عكس ما نادى به ماكس فيبر، أين يتم اختيار العمال ذوي الكفاءة والمهارة، وذلك بعد إخضاعهم لاختبارات أو بناءا على الشهادات التي يمتلكونها، فهم بذلك يفصلون بين أمورهم العملية وعلاقتهم الشخصية، إنهم موضوع تعاقد، يخضعون مبدئيا لانتقاد مفتوح يتم الانتقاء بناءا على التأهيل المهني، وفي المقابل تمنح لهم أجور قارة حسب تموقعهم الهيرارشي ونمط المسؤولية الموكلة إليهم (معمري، 2009، ص ص 19-20)،أما طبيعة التحفيزات والامتيازات المقدمة في المقاولة الجزائرية فهي ذات طابع اجتماعي وديني (زواج، حج، ...)، وهنا نستعين بما تقدم به أحمد هني في قوله: "أن المجتمعات النامية ومنها الجزائر، قد يرتبط أحيانا توظيف الأجراء من حيث علاقتهم بالفخذ أو القبيلة أو صاحب رأس المال في القطاع الخاص أو حتى العمومي، قد يوزع جزءا من الضريبة الدينية على العمال كالمساعدة على الزواج أو أداء منسك الحج ..." (بشير، 2018، ص 90) .

انطلاقا من تحليل نتائج الدراسات السابقة يتضح لنا بأن الفعل المقاولاتي في المجتمع الجزائري ذو طابع اجتماعي عائلي، انعكس على طبيعة العمل التي امتازت بالنمط اللاعقلاني، وهو ما جعل من العمل بصفة عامة والفعل المقاولاتي على وجه الخصوص حامل لعدة ثنائيات متناقضة نذكر منها: (التقليدي/الحديث)، (الإجتماعي/الإقتصادي)، وهذا نتيجة السياق السوسيوثقافي الذي طبع بكل ما هو تقليدي، عائلي وديني، دون أي تطوير أو تكييف مع التحولات والتغيرات التي مست العالم بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة، وهذا عكس ما هو عليه المقاول في الغرب، الذي يمتاز بالعقلانية، الرشادة والكفاءة لتحقيق تراكم لرأسمال مادي، وهو ما أكده كروزيه بأن كل فرد هو فاعل له عقلا يفكر به بمعنى أنه عون مستقل قادر على الحساب والتحكم والتسيير، والذي يتأقلم ويبتكر في ظل الظروف السائدة (michel & erhard, 1977, p. 5)

هذا ما يؤكد لنا أن كل مقاولة مطبوعة بالخصائص السوسيو-ثقافية للمجتمع المتواجدة به أين يظهر التأثير الجوهري للسياق الزمكاني في صقل الأنساق والأبنية المتواجدة فيه (بشير، الثقافة والتسيير في الجزائر، 2017)

VI- الخلاصة:

نستنتج في الأخير أن ظهور الفعل المقاولاتي في الجزائر له طابع خاص، نظرا للسيرورة التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري هذا من جهة، والسياق السوسيو-ثقافي الذي يميزه من جهة أخرى، وتمثل العائلة الراساميل المادي، المعرفي والعلائقي للفاعل (المقاول) الجزائري نظرا لطبيعة الأنشطة الوراثية الممارسة، التي رسمت لنا مورفولوجيا خاصة للعمل، يميزها لطابع اللاعقلاني في التسيير والتوظيف المبنيان على العلاقات غير الرسمية والشخصية البعيدة كل البعد عن شبكة العلاقات الرسمية والعملية، باستخدام أفضل الوسائل لتحقيق الأهداف المسطرة والوصول إلى رسم الاستراتيجيات والفعالية المرجوة.

هذه الوضعية اللاعقلانية التي آل إليها العمل بصفة عامة والفعل المقاولاتي على وجه الخصوص في الجزائر، يدفعنا إلى التفكير لفهم المعنى وتحديد الظاهرة (الحالة التي عليها الفعل المقاولاتي)، في الجزائر اليوم، باعتباره رهينة سياق سوسيو-تاريخي ماضوي، أم هو نتيجة

رهان سياق ثقافي أيديولوجي مستمر، وهذا ما يجب على الباحثين المختصين البحث فيه، من أجل تحسين المستوى المعيشي للفاعلين وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية للوطن.

– الإحالات والمراجع :

1. إسحاق رحماني. (2016-2017). *المقاولة في القطاع الخاص وعلاقتها بتنمية مجتمع العمل*. الجزائر: جامعة باتنة.
2. إسحاق رحماني، و طيب جاب الله. (2014). *سوسيولوجيا المقاولة في الجزائر من المداخل الكبرى إلى الدراسات المعاصرة* (المجلد الأول). الجزائر: مجلة دراسات في علم اجتماع المنظمات.
3. إسحاق رحماني، و كمال بوقرة. *المقاولة الخاصة كآلية تنموية بمجتمع العمل*. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية.
4. أنطونيو غيدنز. (2005). *علم الاجتماع* (المجلد الأول). (فايز الصباغ، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
5. بودون ريمون، و بوريكو فالفيردو. (1986). *المعجم النقدي لعلم الاجتماع*. (سليم حداد، المترجمون) الجزائر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
6. جمال غريد. (1997). *ثقافة المؤسسة*. وهران، الجزائر: مركز البحث في الأنثربولوجياالاجتماعية والثقافية.
7. جمال فزة. (2009). *سوسيولوجيا التنظيمات: أسس واتجاهات*. المغرب: دار أبي الرقراق للنشر.
8. جون سكوت. (2009). *علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، معجم علم الاجتماع*. لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
9. حميد شاوش. (2019). *مدخل إلى علم الاجتماع المنظمات*. الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
10. رابح كعباش. (2006). *علم اجتماع التنظيم*. الجزائر: مخبر علم اجتماع الانفصال جامعة منتوري. *رسالة في سوسيولوجيا العمل*1986بيروت لبنان منشورات عويدات
11. رشيد واضح. (2003). *علاقات العمل في ظل الاصلاحات الإقتصادية في الجزائر*. الجزائر: دار هومة.
12. ريم لونيسي. (2020/2019). *المعوقات التنظيمية للمقاولاتية السياحية في الجزائر*. الجزائر: جامعة الحاج لخضر.
13. زكية مقري، و وردة خنوفة. (2016). *التوجه المقاولاتي لمخابر البحث الجامعية ودورها في انشاء مشاريع مبتكرة*. الجزائر: مجلة بشائر الاقتصادية.
14. سفيان بدراوي. (2015/2014). *ثقافة المقاولة لدى الشباب الجزائري المقاول*. جامعة تلمسان.
15. عبد الغاني عماد. (2017). *سوسيولوجيا الهويةجدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء*. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
16. عبد القادر خريبش. (2011). *التحليل السوسيولوجي عند ميشيل كروزيه* (المجلد 27). سوريا: مجلة جامعة دمشق.
17. علي عليوة. (2019). *محاولة في الاتجاهات السوسيولوجية للتنظيم: النظرية الكلاسيكية للتنظيم كارل ماركس ماكس فيبر روبرت ميشلز* (المجلد الأول). الجزائر: مجلة دراسات في علم اجتماع المنظمات.
18. لحبيب معمري. (2009). *التنظيم في النظرية السوسيولوجية*. فاس، المغرب: منشورات ما بعد الحداثة.
19. ليلى كرفوح، و عبد الغاني عراب. (2007). *مرافقة المشاريع المقاولاتية في الجزائر مدخل انفصالي - ثقافي علم*. الجزائر: مجلة تاريخ العلوم.
20. ليندة العابد. (2011-2012). *النسق القيمي للإدارة وعلاقته بتوجه الفكر التنظيمي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع تنظيم وعمل*. الجزائر: جامعة الحاج لخضر باتنة.
21. محمد بشير. (2017). *الثقافة والتسيير في الجزائر*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
22. محمد بشير. (2018). *علم اجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر الرعيل الأول*. الجزائر: دار الكنوز للانتاج والنشر والتوزيع.

23. محمد عبد المعبود البصيري. (2001). *علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي دراسة تحليلية نقدية*. السعودية: مكتبة التعليم الحديث القنصيم.

24. مصطفى الفيلالي. (2006). *مجتمع العمل*. بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

25. ناصر قاسيمي. (2017). *سوسيولوجيا المنظمات دراسات نظرية وتطبيقية*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

26. وفاء لعريط. (2022). *الفعل الانتخابي بين جدلية السلطة ونظرية الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر* (المجلد 1). المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية.

27. benchanhou, a. (2007). *les entrepreneurs Algériens.* alger: Alpha-Désigne.
28. boutillier, s., & uzunidis, d. (2013). *l'entrepreneur.* paris: dunod.
29. bouyakoub, a. (1997). *les neveaux entrepreneurs en algérie en période de transition, la démention transationnale* (Vol. 40). alger: gread.
30. michel, c., & erhard, f. (1977). *L'acteur et le système.* paris, france: ed du seil.
31. raymond, a. (1962). *dix-huit leçons sur la société industrielle.* paris, france: gallimard.